

التغير الثقافي في ظل مواقع التواصل الاجتماعي

Cultural change in the light of social networking sites

أ/ فيصل بوراس، جامعة سكيكدة، الجزائر

faicalb85@yahoo.com

أ. د/ عمر أوداينية جامعة بسكرة، الجزائر

تاريخ القبول : 2018/02/01

تاريخ الاستلام : 2018/01/11

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على موضوع ' التغير الثقافي في ظل مواقع التواصل الاجتماعي ' التي نقصد بها الفيس بوك على وجه الخصوص، كفضاء تواصلي عالمي يتجاوز الحدود المكانية والزمانية ، وقرب المجتمعات من بعضها البعض، بل وصل إلى المزج بين المجتمعات والثقافات فلم يتحيز لفئة أو جماعة أو مذهب، فكان حقا مجالا للديناميكية والتفاعل الرمزي الذي كان محور اهتمام النظرية التفاعلية الرمزية ، إذ لا نستطيع أن نحدد دور التفاعل الإلكتروني عبر هذه المواقع في تكون ما يسمى المجتمعات الافتراضية، هذه الأخيرة التي حققت وجودا اجتماعيا معترفا به، وباتت مجتمعات موازية للمجتمعات الواقعية، كما يهدف هذا المقال إلى معرفة آليات التغير الثقافي الناتج عن المجتمع الافتراضي من خلال إسقاط نظرية 'روجرز' القائلة بانتشار المستحدثات وأثره على ظاهرة التغير.

This article aims to shed light on the subject of cultural change in social networking sites that we hear Facebook in particular, as a global communication space has transcended spatial and temporal boundaries, and close to each other's communities but it came to a mix between societies and cultures have not biased to a class or group or doctrine, it was really the space for dynamic and symbolic interaction, which was the subject of the interactive theory of symbolism, as we can not eliminated the role of electronic interaction through these sites are so-called virtual communities, the latter has achieved a socially recognized presence, and now communities parallel realism societies, than this article aims to know the cultural change resulting from virtual community mechanisms through the abandonment of the theory of "Rogers theory of the diffusion of innovations and its impact on the phenomenon of change.

مقدمة:

لقد كان القرن العشرين منعرجا هاما في تاريخ البشرية، حيث شهد مجموعة من التغييرات في شتى مجالات الحياة الإنسانية، كانت الثورة التكنولوجية والثقافية احد مظاهرها وإفرازاتها، حيث استطاعت في وقت قصير أن تجتاح البيوت بسرعة مذهلة، وتساهم في تكييف الفرد مع التقدم الذي يحصل في كل دقيقة وثانية، ولعل سرعة انتقال المعلومة والحديث عن اللامكان واللامان ، مؤشر من مؤشرات التقاء الشعوب واختلاط الثقافات في مفترق طرق يكون فيه المجتمع الافتراضي Virtual Communities صانع القرار، والقاضي بزوال الاتصال الأحادي وظهور الاتصال الإلكتروني الذي يستخدم فضاءات ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة التي أتاحتها شبكة الانترنت.

هذا النوع من الاتصال الذي أصبح من خلاله الفرد قادرا على تكوين جماعة بديلة يتفاعل معها كما يشاء من خلال المحادثة أو تكوين الصداقات، و التواصل معهم وطرح الأفكار المختلفة، وممارسة التسليع والتسويق، وتبادل الصور وملفات الفيديو ولفت الانتباه إلى القضايا التي تهم الجماعة وتكوين رأي عام بصدددها، واتخاذ قرار حيالها، كقرارات الإطاحة بالحكومات المستبدة التي شهدها الوطن العربي مؤخرا، ومن ثمة استطاعت هذه المواقع الاجتماعية أن تسهم في إحداث التغير الثقافي في المجتمعات الواقعية من خلال محاكتها في سلوكيات أفرادها وتصرفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فكانت العلاقة بينهما علاقة طردية

إذ كلما كثرت وسائل الاتصال والمواقع التواصلية الاجتماعية خلقت المجتمعات الافتراضية، ونشطت عمليات التغير الاجتماعي، والثقافي، ومن الواضح أنه لولا عمليات الاتصال والانتشار الثقافي لبقيت أجزاء كثيرة من المجتمعات في حالة تأخر حضاري، فالعزلة تعني الركود، والاتصال معناه التواصل والتفاعل والنمو.

I. 1- إشكالية البحث

التغير حقيقة إنسانية مسلم بها، عرفت الإنسانية منذ فجر التاريخ، تناولتها العديد من الدراسات، بدءا ب: **هرقليطس** وصولا إلى الدراسات الحديثة، التي اختلفت في تحديد عوامله أو وصف وتيرته، ففي الحين الذي ردت فيه الدراسات الكلاسيكية التغير إلى: الجماعات، والأوبئة، والحروب، والانتقالات الفيزيقية للأفراد (المجرة)، أضافت الدراسات الحديثة لعالم اليوم الذي تميزه تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة بعض العوامل الأخرى التي ساهمت في مزج شعوب العالم وخلقت مجتمعا موازيا للمجتمع الواقعي، أصطلح على تسميته بالمجتمع الافتراضي، من هنا جاءت ورقتنا البحثية هذه لبحث موضوع

التغير الثقافي في ظل مواقع التواصل الاجتماعي، وفي ضوء هذه الإشكالية سنحاول الإجابة على الأسئلة التالية :

- ما هي آليات التغير الثقافي في ظل المجتمع الافتراضي؟
- هل يمكن القول بنوعين من التغير الثقافي (واقعي - افتراضي) ؟

I. 2- الكلمات المفتاحية

I. 2- 1- التغير الثقافي

مصطلح أُستخدم لأول مرة في كتابات الفيلسوف و المؤرخ الألماني **فلهلم دلتاي** (1833-1911) لكن الإشارة له كانت واضحة في المقولة التي أطلقها **تولستوي** في أوائل القرن الماضي توحى بنهايته: "هذا زمن ينهار فيه كل شيء وتبدأ عملية تشكله من جديد كذلك انتشار مفهوم " ما بعد " الذي يعني بلغة **توماس كون** ميخا إلى تقادم وفناء بعض النماذج وتكون ملامح نماذج أخرى، إلا أن استخدام المصطلح في الدراسات الأنثروبولوجية كان في القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين حيث بات مقولة كلية تدخل في مضمون الثقافة⁽¹⁾.

التغير الثقافي: كل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية، والفكرية، القانونية والمؤسسية مركبة في فترة زمنية معينة تغطي كل التغيرات الحاصلة في كل المجالات، من العمارة، والأجناس الأدبية، وأنظمة الزبي إلى الأفكار، والمفاهيم الحقوقية والاجتماعية، وبنية العلاقات الاقتصادية، والدولية⁽²⁾.

التعريف الإجرائي :

التغير الثقافي: جملة التحولات والتبديلات التي تطرأ على أحد عناصر الثقافة، أو على إحدى الأبنية، والمراكز والأدوار الاجتماعية.

I. 2- 2- مواقع التواصل الاجتماعي :

- مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت تزامنت مع الجيل الثاني، تتيح فرصة تكوين مجتمع افتراضي من خلال عمليات التواصل، التي تجمع المجموعات، والانتماءات، والشبكات⁽³⁾.
- هي نوع من الربط العشوائي لعدد كبير من الأفراد، حيث يتشكل من خلالها تنظيم معين، من خلال شبكة الانترنت.
- هي شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي، عن طريق شبكة الكمبيوتر، ينتج عنه علاقات اجتماعية، وعلاقات عمل مشترك، أساسه تبادل المعلومات.

- هي خدمة توفرها الشبكة العنكبوتية لتبادل الاتصال بين الناس الذين يشتركون في نفس الاهتمامات، أو من يحبون خوض غمار اكتشاف الآخر⁽⁴⁾.
 - **التعريف الإجرائي :** يرى الباحث أن مواقع التواصل الاجتماعي هي فضاء افتراضي تتيحه شبكة الانترنت لا يخضع لحكم الزمان و المكان، يتفاعل من خلاله مجموعة غير متجانسة من الأفراد بغية الوصول إلى أهداف شخصية أو جماعية.
- مع التركيز على الفيس بوك باعتباره أكثر المواقع استخداما وشيوعا في العالم.

I. 2- 3- فيس بوك facebook

كما هو معروف في أوروبا face book يشير إلى دفتر ورقي، يحمل صورا ومعلومات لأفراد في جامعة معينة أو مجموعة ومن هنا جاءت تسمية الموقع⁽⁵⁾.

والكلمة تعني شبكة اجتماعية، للتواصل الاجتماعي، يتيح فرصة الاستخدام المجانية وتكوين الأصدقاء، وتبادل المعلومات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليق عليها ويسهل إمكانية تكوين علاقات في فترة قصيرة⁽⁶⁾.

الفيس بوك facebook هو موقع تديره شركة فايسبوك محدودة المسؤولية كملكية خاصة، يتيح التواصل الاجتماعي مجانا⁽⁷⁾.

I. 2- 4- المجتمعات الافتراضية

إذا كان مصطلح : Community يشير إلى المجتمع الواقعي الذي يحمل في طياته أركانا أساسية تتمثل في : الجماعة والتفاعل ، والروابط ، والمكان- الزمان⁽⁸⁾.

فإن المجتمع الافتراضي **Virtual Community** في رأي كل من سيرج بروكس هو : استخدام منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار، من طرف مجموعة من الأفراد حيث يتولد عن هذا الاستخدام علاقة انتماء إلى جماعة واحدة⁽⁹⁾.

هاورد راينجولد: يرى أن المجتمع الافتراضي عبارة عن مجموعة اجتماعية، متفاعلة، كونتها الشبكة العنكبوتية .

والحقيقة أن هذا التعريف يجمع بين الدافع الاجتماعي، والبيئة التكنولوجية من خلال الجماعة المتفاعلة والفضاء الإلكتروني وهما ما نصلح على تسميته بالمقوم الاجتماعي، والمقوم التكنولوجي لهذه المجتمعات الافتراضية .

أما الدكتور: أحمد فلاح العموش في ورقته المقدمة إلى مؤتمر "تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي بجامعة الملك سعود، بالرياض يرى أن:

المجتمع الافتراضي: شكل من أشكال تفاعل وديناميكية جماعة من الأفراد، عبر وسائل الاتصال الحديثة من خلال :

الرسائل الإخبارية Newsletters، الهاتف والبريد الإلكتروني والشبكات الاجتماعية Social Networks، عبر الانترنت أو الرسائل الفورية instant messages دون الاعتماد على علاقات الوجه إلى الوجه Face to Face والتعليم التقليدي (10).

II. مواقع التواصل الاجتماعي وتشكيل المجتمعات الافتراضية

لقد كانت جميع الظروف مواتية لأن تكون مواقع التواصل الاجتماعي فضاءات تواصلية حقة، فهي تشكل أمكنة افتراضية، تتيح التحدث عبر غرف الحوار والدرشة، حيث لا يحكمنا الإطار الجغرافي ولا التاريخ، وتتعامل مع هذه المواقع باعتبارها تحمل شحنات ثقافية يكون الحوار والتواصل أساسها، على الرغم من أن المكان الافتراضي مصطلح حديث نسبياً، فهو مرتبط بالفضاء التخيلي، أين تغيب فوييا المكان، ويكون الفرد أكثر حرية (11)، وفي هذا الصدد يتحدث: "Kirkpatrick .David" في كتابه "The Facebook Effect" عن هذه الشبكة التي ربطت بين أجزاء العالم المترامية وغيرت معالمه، ويلقي الضوء على كيفية تأثير الفيس بوك على كل العالم وعلى الناس جميعاً). (12)

تمثل مواقع التواصل الاجتماعي وسائط إلكترونية تستخدم لتكوين روابط وجماعات بغرض المحادثة والنقاش الإلكتروني، كل حسب اتجاهاته وأفكاره وتتميز هذه المجموعات بديناميكية من حيث تغير عدد أعضائها، وطريقة تكوينها أو تبدلها، فتشبه إلى حد ما الجماعات الكلاسيكية، في الحياة اليومية، وفي نفس السياق يقول : bertini الشبكات الافتراضية تقوم بنسج خيوط المجتمع الجديد، وتحديد ملامحه فقد عملت شبكة الانترنت على تشكيل مجتمعات موازية ويتم فيها إحداث أشكال وأنماط جديدة للتعبير وخلق علاقات اجتماعية ، لا يمكن أن تخلق في وضعيات أخرى (13).

III. المجتمعات الافتراضية مقابل المجتمعات الواقعية :

لعل تصورنا للمجتمعات الافتراضية بديلاً عن المجتمعات الواقعية ينطلق من نقطتين تتمثل الأولى في الوجود الاجتماعي للمجتمعات الافتراضية الذي ينطلق تحليله من منظور التفاعلية الرمزية التي تأخذ من الوحدات الصغرى عنصراً للتحليل حيث تحتم بالديناميات النفسية الاجتماعية The Social Psychological dynamics لتفاعل الأفراد في جماعات صغيرة كغرف الدردشة الإلكترونية والمنشآت

من خلال استخدام الصوت، والفيديو، أو الشخصيات الرقمية، وهذه الوسائل تمثل معاني ورموز لهم، فالمستخدمون يتصرفون في المجتمع الافتراضي، من خلال ما تعنيه الأشياء لهم، وتشكل لديهم ذوات إلكترونية، من خلال التفاعل مع الآخرين.

ومن ثمة تركز النظرية التفاعلية الرمزية على المفاهيم Definitions والمعاني Meanings والتي وجدت، وتم المحافظة عليها من خلال التفاعل الرمزي بين الأفراد، وترى أن هوية أفراد المجموعة، وإحساسها بذاتها يتشكل من خلال التفاعل الاجتماعي، Social interaction ويتشكل أيضاً مفهوم الذات من خلال كيفية تفاعل الآخرين مع المجموعة، وما يعطونه من معان لها (14).

أما النقطة الثانية فتتمثل من خلال الإحصائيات، ونسب الاستخدام العالية التي تقدمها الدراسات والأبحاث في المجال، لكن السؤال المطروح هل يمكن الاستغناء عن المجتمعات الواقعية، والحقيقية في ظل هذا المجتمع الافتراضي؟ يعني هل يمكن أن يكون الإنسان مدنياً، ويستطيع تلبية كافة احتياجاته من خلال هذا العالم الافتراضي.

بالرغم من أن تكنولوجيا الاتصال الحديثة خلقت نوعاً من التفاعل الاجتماعي على شبكة الانترنت وساهمت في بناء مجتمعات افتراضية⁽¹⁵⁾، من خلال ما تضعه بين أيدي الأفراد من أدوات خاصة بالاتصال، وبهذا النوع من التفاعل، وتنشيط وزيادة مواقع المناقشة، والحوار في المنتديات، والمدونات، وكافة أشكال التفاعل، والتواصل الاجتماعي على الشبكة العالمية، إلا أن الحاجة تكمن في إمكانية دراسة هذه المجتمعات الافتراضية، بما تحمله من خصائص يتأثر المجتمع الافتراضي بعدة عوامل سلباً، أو إيجاباً مثله مثل المجتمع الحقيقي، باختلاف وتباين القيم والمعتقدات السائدة، والأنماط الاتصالية، ومدى الالتزام بالمعايير والضوابط الأخلاقية كلها عوامل لها أثرها على المجتمع الافتراضي، التي تبنى على التقارب في الفكر والمعنى حول الكثير من الموضوعات والقضايا، التي قد لا يجد المستخدم لها صدى في المجتمع الحقيقي، ويرتبط بهذه المفاهيم الحذر البالغ من التأثير في الثقافات، والقيم، والعادات والأعراف، وكذلك المعتقدات، خاصة في هذا العصر الذي تميز بتأثير الدول الليبرالية في مجالات الحياة المختلفة لاسيما المجال الثقافي الذي تعتبر العولمة الثقافية، وتحليلاتها إحدى مظاهره، كذلك اللغة التي تعتبر لسان هذه المجتمعات⁽¹⁶⁾، بشقيها التقني المستخدم في التعامل مع الكمبيوتر والانترنت ونصوصها، أو اللغة المستعملة والمتمثلة في اللغة الإنجليزية بوصفها اللغة السائدة في برامج الحاسب ومواقع الشبكات.

إلا أن هذا الحذر يصطدم بأن الموقع الافتراضية إذا كانت تلبى عددا من الحاجات الثقافية لدى أعضائها أو المنتمين إليها، إلا أن الحاجات الأساسية للفرد لا تلبىها إلا المجتمعات الحقيقية، التي تفرض على المستخدم العودة إليها فكريا وثقافيا لتلبية حاجاته الأساسية والثانوية.

عموما تتباين المجتمعات الافتراضية من حيث :

- 1- الاهتمامات وأساليب المشاركة
- 2- ونوعية القضايا المثارة
- 3- حجم ومستوى التفاعل بين أعضاء المجتمع الافتراضي
- 4- مستوى التنظيم ، وآليات النشاط والمشاركة الفاعلة فيها
- 5- مدى قبولها من المجتمع الحقيقي. (17)

والملاحظ أن كل نقطة من النقاط المذكورة تصلح لأن تكون موضوعا بحد ذاته، بيد أن ظاهرة المجتمع الافتراضي ظاهرة جديدة نشأت مع تطور العولمة الثقافية، والحاسوب خاصة تلك المجتمعات التي توفر للفرد جو التفاعل (18).

IV. خصائص المجتمع الافتراضي :

تتمثل سمات المجتمع الافتراضي في النقاط التالية :

1. الغرض المشترك بين الأعضاء والمشاعر المشتركة (تكرار الأنشطة والحماس المتبادل)
2. إتاحة المعلومة وتوفيرها للجميع ، والدعم والخدمات بين الأعضاء.
3. إطار مشترك للتقاليد الاجتماعية، واللغة ، والبروتوكولات المتبعة (الاتصال والتواصل).
4. 4-الوعي بحدود العضوية التطوعية ، وهوية الجماعة.
5. 5-المعايير المبدئية للاشتراك في المجتمع المعني (19).

وتذهب بشرى جميل الراوي في مقالها الموسوم — : دور مواقع التواصل الاجتماعي في

التغيير لتحديد سمات المجتمع الافتراضي بـ:

- المرونة، وانحياز فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي تحكمه اهتمامات مشتركة.
- غياب حدود المكان، والزمان، إذ يوصف المجتمع الافتراضي بأنه مجتمع لا ينهم، فالفرد يجد من يتواصل معه على مدار الأربعة وعشرين ساعة.
- المجتمع الافتراضي ينتهي بعزلة، واغتراب عن المجتمع الواقعي وتشير شيري تيركل إلى الفكرة في كتاب عنوانه (نحن معا لكننا وحيدان).

- المجتمعات الافتراضية مجتمعات إرادية لا جبرية.

-فضاءات مفتوحة رحبة للتمرد والثورة (20).

-تتميز المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي إلى تفكك مفهوم الهوية التقليدي (21).

V. بين المجتمع الواقعي و المجتمع الافتراضي

يتضح الفرق بين المجتمع الافتراضي، والمجتمع الواقعي (الكلاسيكي) في النقاط التي يوضحها الجدول التالي (22):

المجتمعات الافتراضية	المجتمعات الكلاسيكية
لا يوجد فيها حضور جسدي	يكون فيها الحضور جسدي
لا يوجد بالضرورة تقارب جغرافي	هناك تقارب جغرافي بين الأفراد
غير محصورة بحيز جغرافي	تكون محصورة في حيز جغرافي
تتميز بالعالمية أو الكونية	مجتمعات محلية
أفراد غير متجانسين	أفرادها غالبا ما يكونون متجانسين
غير دائمة	تدوم لوقت طويل
حرية مطلقة للتعبير	حرية التعبير محدودة في عدة مجالات
تستعمل لغة خاصة بها	لها لغات متعددة ورموز مختلفة
لها قواعد وسلوكيات خاصة بها	لها قواعد وقوانين مختلفة
يشارك أفرادها في الاهتمامات والأفكار	أفرادها لا يجتمعون بالضرورة لمصلحة وأفكار
لا وجود للطابع الهرمي بين الأشخاص	يسود الطابع الهرمي بين الناس

العامل الجغرافي له أهمية في تكوينها	ليس للبعد الجغرافي أهمية كبيرة
هناك سياق اجتماعي خلال عملية الاتصال	تغيب نسبيا عناصر اللغة اللفظية
اتصالا تم تكون في الوقت الحقيقي المباشر	هناك تفاوت في الوقت لتباعد المسافات بين المتحدثين
لا توجد وسائط تقنية	توجد وسائط تقنية

جدول رقم 01: يبين الفرق بين المجتمع الواقعي و المجتمع الافتراضي .

VI. عوامل التغير الثقافي في المجتمع الواقعي

التغير الثقافي و ليد ديناميكية الجماعة ومتطلبات المحيط الاجتماعي ، واحد من الحتميات الاجتماعية التي لا يمكن ردها للصدفة ، لان التراكم الثقافي لا يحصل إلا من خلال عوامل تعمل كحماثر فتؤدي إلى النمو الثقافي وزيادة العناصر الثقافية كما وكيفا ومن هذه العوامل العلم والاختراع، الابتكار والاكتشاف ، واستعارة العناصر الثقافية وتبادلها ، والحروب والصراعات (23). ويجملها (ليسلي وايت lessly wait) في ثلاثة عوامل تكنولوجية ، وفكرية واجتماعية لكنه ينتصر للعامل التكنولوجي على حساب غيره ويرى أنه المحدد لكل العوامل الأخرى (24).

وهو بهذا الرأي يتفق مع كل من (أجبرن ogbourn) و (شنييدر shnieder) وفي هذا الصدد ربط ليسلي بين الثقافة والأفراد والمجتمعات، وأكد على الدور الرئيسي للثقافة في إشباع الحاجات البشرية، فإذا كان بقاء المجتمع متوقفا على تحقيق احتياجاته فإن الثقافة هي الوسيلة لتلبية هذه الاحتياجات، وهنا نقول أنه لا وجود للثقافة دون مجتمع ولا وجود للمجتمع دون ثقافة (25).

في حين يرى (ألفريد فيبر* alfred weber) أن التغير الثقافي ناتج عن العوامل البيئية، والغرائز البشرية، والإرادة، والمصير التاريخي، والظروف الجغرافية ويقر بعدم وجود قوانين ثابتة وصحيحة للثقافة لأن الثقافة ذاتها تنشأ من قوة الإنسان الإبداعية التلقائية حسب (26)، وهو ما نادى به

●ألفرد فيبر: شقيق ماكس فيبر اخص بدراسة الظاهرة الثقافية عكس ماكس فيبر الذي اخص بدراسة الظاهرة السلطوية والبيروقراطية فكان من رجال السياسة... الخ انظر شابر محمد كريم، مرجع سابق، ص56.

(مالينوفسكي malinowski) في فكرته القائلة أن كل عناصر الثقافة، والأنساق الاجتماعية تتفاعل، وتتداخل لإشباع الحاجات الثانوية والأولية للأفراد (27).

ويرى جيلين أن التغير الثقافي يحصل نتيجة لعدد من الظروف هي :

- عجز الموارد الثقافية المتاحة على تحقيق حاجيات المجتمع، وهنا يكون التغير سلبيا.
- إذا أمكن تحقيق الاستجابة اللازمة، يعني تغير مرغوب.
- إذا تم فهم و استيعاب الحلول الجديدة المقترحة، كسبي الأفكار أو بعض الأنظمة والإستراتيجيات التي تعرب عن تغير جذري.
- إذا أثبتت العناصر الجديدة قدرتها على إشباع الحاجيات أكثر من العناصر القديمة (28)، عموما يمكن تبين عوامل التغير الثقافي في مايلي:

1. التقدم العلمي والنمو الفكري : الذي يرتبط بالمكتشفات العلمية التي بدورها تحدث عملية

التغير في أمور الحياة كظهور مخترع جديد، كذلك يأخذ التعليم مكانة بارزة ضمن العوامل الداخلية والخارجية لما يتضمنه من اكتساب العقل مهارات فكرية وتنمية القدرات الإبداعية لدى الأفراد، بما يخدم الحياة الاجتماعية التي يعيشونها. وقد احتوى القرآن الكريم على المفاضلة بين العالم والجاهل في العديد من الآيات منها قوله-تعالى- "...قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب.... " الآية 9 من سورة الزمر. وهنا أدلة ثابتة على قيمة العلم فتسلح به الإنسان للسيطرة على الطبيعة وطوعها لخدمته.

2. التكنولوجيا: التي قضت في الآونة الأخيرة على ظاهرة العزلة الثقافية وصار العالم قرية صغيرة

على حد تعبير ماكلوهان، فقضت على التمايز في مجال التعليم، والطب، والزراعة، والصناعة، والإعلام (29). والترويج والحياة الأسرية ففي مجال الطب أصبح بالإمكان إجراء العمليات الجراحية عن طريق الأدوات، والمعدات الطبية والتقنيات العالية التي كانت صعبة، وشبه مستحيلة في وقت سابق، واستحدثت طرق وحواظ لتعقيم وحفظ المأكولات والمشروبات، وتم القضاء على الآفات والعدوى، واستعارت المجتمعات المتخلفة طرق الإبداع من الدول الأكثر تقدما حتى ارتبطت الدول بعضها ببعض، ولعلنا نعيش اليوم زمن الاختراعات والاكتشافات العملاقة، زمن الأقمار الصناعية ووسائل الاتصال الحديثة.

3. وسائل الإعلام : مما يجدر الإشارة إليه أن تطور وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري ووسائل

النقل والمواصلات قد أثرت بشكل رهيب في تطور الثقافة وانتشارها.

4. الانفتاح عن العالم : للفرد ميل دائم نحو التحسين والخروج من المجتمع الضيق إلى المجتمع الأكثر اتساعا أين يجد في الهجرة تلبية لرغباته وميولاته فالمهاجر عادة ما يعيش فترات امتحان بين الاندماج في المجتمع الجديد أو البحث عن وسيلة أخرى فإذا نجح استقر واستوطن انصهر في المجتمع المستقبل وتبنى بعض المفاهيم واكتسب خبرات ومعارف وعادات جديدة تختلف كلياً أو جزئياً مع عاداته وتقاليدته ومعارفه السابقة ، لذلك كان للانتقال الفيزيقي من مجتمع القرية إلى مجتمع المدينة بصمته خاصة على التغير الثقافي.

5. القومية : منذ أقدم العصور وجد الفرد في الجماعة الأمن وتحقيق الذات ، وهنا برزت فكرة الانتماء والقوميات فاتصلت المجتمعات ببعضها البعض وعرضت ارتباطها ببعضها ، هذا ما جعل الحياة تتغير، فالقومية أو الاتحاد يعبر عن وعي الإنسان بنفسه وبالروابط التي ينتمي إليها وهي قوة كبرى لتشكيل اتجاهات الأفراد ، والجماعات.

6. الثورات: هذا المصطلح الذي يحمل في طياته التغيرات الجذرية والمفاجئة والسريعة في المجتمعات التي تعيشها أو تفجرها، حيث تفرز أفكار ومفاهيم حديثة وأساليب جديدة على غرار الأساليب القديمة، وإبدال النظم الاجتماعية القائمة بنظم أخرى، فالثورة هي التغير الاجتماعي الشامل الذي يتطلع إلى حياة أفضل، لذلك كان ولازال أحد عوامل التغيرات الثقافية والاجتماعية.

7. البيئة (العامل الايكولوجي): فالمناخ وحالة الطقس ، والهواء ، ونوع التربة تؤثر في البشر حتى أن المفكر الاجتماعي والجغرافي الأمريكي هانتينجتون أقر أن سلوك البشر الذي تتحكم فيه الظروف الجغرافية لن يتغير إلا بتغير هذه الظروف وعلى ضوء هذه الفرضية يذهب هانتينجتون إلى تفسير ظهور الحضارات وتفسيرها ، ويضرب مثالا بازدهار حضارة وادي النيل بتوفر ظروف مناخية وجغرافية وانقراضها بتغير هذه الظروف⁽³⁰⁾.

ولعل ابن خلدون قد انتصر لهذا العامل ووضع في المكانة التي يستحقها في بحثه (المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر)، إذ تناول مفكرنا خطأ المسعودي في تفسيره بحثه عن سبب خفة السودان وطيشهم وكثرة طرهم، التي أرجعها إلى رأي كل من جالينوس ويعقوب بن إسحاق الكندي الذين أرجعا السبب إلى ضعف أدمعتهم وما ترتب عنه من ضعف عقولهم⁽³¹⁾.

ونجد نفس الاتجاه عند كل من مونتسكيو الفرنسي ورازل الألماني وبوكل في إنجلترا الذين يؤمنون بأن التطورات الحاصلة على البيئة الجغرافية ولو في فترات موسمية تنعكس آثارها على التحولات والتغيرات الاجتماعية(32)

VII. أنماط التغير الثقافي حسب نوع المجتمع

1. التغير الثقافي في المجتمع الواقعي: وهو نوع من أنواع التغير الثقافي الذي يحدث داخل المجتمع عامة وفي أحد الأنساق الاجتماعية على وجه الخصوص، يحدث نتيجة لتفاعلات وانفصامات داخل المجتمع الكلي.

2. التغير الثقافي الناتج عن المجتمع الافتراضي: وهو النوع الثاني من أنواع التغير الثقافي الذي يحدث داخل المجتمع عامة وفي أحد الأنساق الاجتماعية على وجه الخصوص، نتيجة لعوامل خارجة عن المجتمع.

VIII. آليات التغير الثقافي

آليات التغير الثقافي الناتج عن المجتمع الواقعي: ينتج هذا النوع بفعل مجموعة من العوامل أو الآليات المتمثلة في:

- التجديد: الذي قد يكون فكرة أو سلوكا أو أي شيء يقبله النسق ويكون مختلفا عن الأشكال القائمة.
- الاختراع: وهو إضافة ثقافة جديدة داخل ثقافة معينة، ويعتبر كل من الاختراع والاكتشاف آليتين للتغير الداخلي، وأحد مسبباته هذا من جهة على الرغم من أن الاختراع لا يقتصر على الماديات وإنما يتعدى ذلك إلى المعنويات، ليكون بذلك إحدى نتائج التغير الثقافي من جهة ثانية.
- الاكتشاف: إن ملاحظة الظواهر الموجودة توحى بفكرة الاكتشاف وإضافة بعض المفاهيم أو الممارسات أو الأفكار إلى المنظومة الثقافية، ويعرف البعض الاكتشاف على أنه الوعي بشيء قائم من قبل، الأصل أن هذا الشيء موجود لكن لم يسبق الالتفات له من قبل.
- الذكاء والعامل النفسي والبيئة الثقافية: لا اختراع من دون ذكاء ذلك أن الاختراع والاكتشاف يتطلب مستوى مرتفعا من الذكاء، كذلك يتدخل العامل النفسي في قبول التجديد من عدمه، وعليه فإن الموهوبين قادرون على التغير الثقافي الداخلي والتعجيل به(33).

IX - آليات التغير الثقافي في المجتمع الافتراضي :

تحدث التغيرات الثقافية الخارجية نتيجة لاتصال المجتمع بغيره من المجتمعات الأخرى عبر

الاتصال الثقافي، والتشاقف، والاستعارة، والانتشار.

ويمكن إجمال هذه العوامل تحت عنصرين أساسيين هما :

الانتشار : وهو النقل الأفقي للمواد الثقافية من حيز جغرافي إلى آخر، و ينقسم الانتشار بدوره إلى نوعين انتشار أولي أهم مظاهره المحجرة التي تؤدي إلى انتشار وحدات ثقافية كبرى، و انتشار ثانوي (الاستعارة) التي تشير إلى عملية نقل وحدات ثقافية بسيطة دون حدوث أي حركات شعبية كمعارض الكتب والفنون، والمواد الإعلامية، وبعثات العمل أو الدراسة في الخارج (34).

ويعتبر روجرز **Rogers** صاحب نظرية انتشار المستحدثات أول من ربط بين التغير الاجتماعي Social Change من جهة وانتشار المستحدثات من جهة ثانية الذي

يمكن نعتة على أنه: العملية التي يتم من خلالها المعرفة بابتكار أو اختراع ما من خلال عدة قنوات اتصالية بين أفراد النسق الاجتماعي. فالفكرة التي استحدثت وذاعت وانتشرت وانتهت إلى مرحلة التبني سوف تؤدي حتما إلى التغير الاجتماعي (35).

هناك أربعة عوامل رئيسية تفسر نظرية الانتشار وهي:- الشيء المستحدث أو المبتكر Innovation، قنوات الاتصال، الوقت، النسق الاجتماعي Social System (36).

بناء على ما سبق، أشارت دراسات بحوث انتشار المستحدثات إلى أهمية مفهوم الشبكات الاجتماعية Social Networks في فهم كيفية انتشار المبتكرات داخل النسق الاجتماعي وفي ضوء ذلك قام روجرز بدراسة قنوات الاتصال لأنها هي التي تعمل على خلق وعي وإقناع للفرد باستخدام أدوات تكنولوجيا الاتصال. إضافة إلى ذلك أشارت هذه الدراسات إلى أهمية تناول عملية الانتشار من خلال بعد تنظيمي وذلك لتأثير البيئة الاجتماعية على عملية تبني استخدام التكنولوجيا (37).

المثاقفة: تنتج المثاقفة عن طريق الاحتكاك بين ثقافتين مختلفتين إحداها مهيمنة والثانية خاضعة، ومثلها انتقال ظواهر ثقافية من الطرف المهيمن إلى الخاضع عن طريق الاستيراد وشيئا فشيئا تصبح الثقافة الخاضعة ماثلة للثقافة المهيمنة (38).

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي، قد خلقت مجتمعات افتراضية، حاولت محاكاة الواقع الاجتماعي، من خلال إثبات وجودها الاجتماعي، و ممارستها لتفاعل اجتماعي، يكاد يكون كاملا، ساهم في التغيير، ونقل المعلومة، والتأثير في القيم، ونقل الثقافات بين المجتمعات، و كان لها دور في صناعة الرأي العام مرة، و التحكم فيه مرة ثانية، إلا أنها قد خلقت نوعا من العزلة، و الاغتراب الاجتماعي، و تصدع في العلاقات الاجتماعية، مما اثر في العملية الاتصالية كظاهرة اجتماعية أساسية لإحداث تغير ثقافي، و اجتماعي، و أخيرا نصل إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي من العوامل المساهمة في إحداث التغير الثقافي، وتبقى هذه الدراسة محاولة قد تفتح الباب أمام دراسات و بحوث أكاديمية تسير بالموضوع إلى الأمام .

❖ هوامش البحث:

- (1) محمد جمال باروت، ديناميات التغير الثقافي العربي في سياق إعادة تشكيل النظام العالمي، ص 51.
- (2) المرجع السابق، ص 51.
- (3) عبد الله ممدوح مبارك الرعود (2012/2011)، دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، (رسالة ماجستير) غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الإعلام، ص 31.
- (4) وديع العززي (2015)، الإعلام الجديد المفاهيم والنظريات، القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ص 62.
- (5) وائل مبارك خضر فضل الله (دس)، أثر الفيس بوك على المجتمع، السودان: مدونة شمس النهضة، ص 13.
- (6) طارق الحري، الفيس بوك مميزاته وعيوبه وأهميته التعليمية 2017/07/12
http://ju5emamc.blogspot.com/2012/10/blog-post_7858.html
- (7) صلاح محمد عبد الحميد (2012)، الإعلام الجديد، القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ص 206.
- (8) أحمد فلاح العموش (2009)، الوجود الاجتماعي في المجتمع الافتراضي دراسة من منظور سوسيولوجي، مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، قسم الإعلام، جامعة الملك سعود، الرياض، ص 4.
- (9) إبراهيم بعزيز (2008/2007)، منتديات المحادثة والدردشة الإلكترونية دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الأفراد والمجتمع، (رسالة ماجستير) غير منشورة، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة) كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، ص 72.
- (10) أحمد فلاح العموش، مرجع سبق ذكره، ص 4.
- (11) بشرى جميل الراوي (2012)، دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 18، جامعة بغداد، كلية الإعلام، ص 10.
- (12) محمد المنصور (2012)، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين -دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية -"العربية أنموذجاً"، (رسالة ماجستير) غير منشورة، الأكاديمية العربية في الدانمارك، كلية الآداب والتربية، ص 72.
- (13) إبراهيم بعزيز، مرجع سبق ذكره، ص 71 ص 72.
- (14) أحمد فلاح العموشي، مرجع سبق ذكره، ص 8-9.

- (15) رضا عبد الواحد أمين(2009)، حدود التفاعل الاجتماعي في المجتمعات الافتراضية على شبكة الانترنت، مؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، قسم الإعلام، جامعة الملك سعود، الرياض، ص 10 ص 11.
- (16) المرجع السابق، ص 10 ص 11.
- (17) المرجع السابق ، ص 11.
- (18) المرجع السابق ، ص 10 ص 11.
- (19) المرجع السابق ، ص 9 ص 10.
- (20) بشرى جميل الراوي، مرجع سابق، ص 11.
- (21) المرجع السابق ، ص 12.
- (22) إبراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص 77.
- (23) محمد حافظ دياب، الثقافة والشخصية، برنامج دراسة المجتمع، دط، مركز التعليم المفتوح جامعة بنها، ص 100.
- (24) معن خليل العمر(1999)، التغير الاجتماعي، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ص 70 ص 71.
- (25) دلال ملحق أستيتية(دس)، التغير الاجتماعي والثقافي، الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، ص 74.
- (26) محمد كريم شابر(2009/2008)، محاولات التغير الثقافي في أنماط إدارة الموارد البشرية، (رسالة ماجستير) غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 56.
- (27) دلال ملحق استيتية، مرجع سبق ذكره، ص 74.
- (28) شابر محمد كريم، مرجع سبق ذكره، ص 56.
- (29) دانة ثابت محمد الخريسات(2005)، تحديات التغير الثقافي وكيفية مواجهتها من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية لمستوى البكالوريوس، (رسالة ماجستير) غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن، كلية الدراسات العليا، ص 11-14.
- (30) محمد براي(2012/2011)، وسائل الاتصال الحديثة وأثرها على التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، (رسالة ماجستير) غير منشورة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 128-129.
- (31) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون(2004)، مقدمة ابن خلدون، ضبط وشرح محمد الإسكندراني، لبنان: دار الكتاب العربي، ص 89.
- (32) محمد حافظ دياب، مرجع سبق ذكره، ص 103-104.

- (33) حسين محمد حسين (2009)، آليات النقل الثقافي، مجلة فضاءات الوسط، العدد 2498، المنامة: ص4.
- (34) صالح عبد الله العقيل (2011)، دور الحراك الثقافي في التغيير الاجتماعي وحماية الأمن الفكري، مجلة بحوث التربية النوعية، العدد 21، مصر: جامعة المنصورة، ص107.
- (35) وائل إسماعيل حسن عبد الباري (2008/2007)، تكنولوجيا الاتصال والتغيير الاجتماعي، مؤتمر تقنيات الاتصال والتغيير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، ص13.
- (36) محمود عودة (دس)، أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية، ص183.
- (37) وائل إسماعيل حسن عبد الباري، مرجع سبق ذكره، ص15.
- (38) المرجع السابق، ص4.